صـ
آراء القارئ السيكولوجية للنص "الخلاصة للبحث"

تعليقة على مقال أخينا سالم مفلح « تريم في القرن السادس – مشروع رؤية »

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعدُ فقد وقع في أيدينا مسوَّدةُ بحثٍ رُقِمتْ على الآلة الكاتبة بعنوان « تريم في القرن السادس الهجري – مشروع رؤية » للباحث سالم فرج عوض مفلح بلغنا أنه يعتزم نشرها في بعض الدوريات ، منتهياً فيها إلى أن تريم كانت في القرن السادس زاخرة بعلماء المعتزلة والفكر المعتزلي وكذا الدولة الراشدية حينها ، ففوجئنا بخلوها من المنهج الأكاديمي الحديث في البحث، وأحببنا أن ندخل في ثواب قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «الدين النصيحة» وكتبنا هذه التعليقة ناوين فيها إرشاد أخينا الباحث للصورة التاريخية الواضحة لمدينة تريم في تلك الحقبة الزمنية المليئة بالعطاء الفكري .

ولسنا في هذه التعليقة سالكين المسلك التقليدي في النقد وإبداء الملاحظات ، بل قد راعينا عند قراءتها ما يسمى بـ«علم نفس القراءة» Reading psychology، و« علم نفس البحث » Reaserch psychology ، وقسمناها إلى ما يلي :

(١) عرض لخلاصة الطرح الذي يطرحه أخونا سالم.

(١) السيكولوجبة المشار إليها آنفا ، وذلك ببيان انطباع قراء بحث أخينا سالم ، حيث لن يشد مثل هذا البحث عموم القراء ، وإنما هو مقتصر على شريحة اجتماعية واحدة وهي شريحة المثقف الحضرمي أو اليمني الذي يمتلك خلفية ولو بسيطة في التاريخ الحضرمي واليمني ، أعني : هواة التاريخ من طلاب الجامعات ومن لف لفهم . وذلك على الكيفية الآتية :

قارئ هذا البحث : إما أن يكون **محسنا للظن** ، وإما أن يكون **مسيئا للظن** في الكاتب ،

فلو كان **محسنا للظن** ؛ فلا يخلو أن يكون مثقفا عاديا من عموم المثقفين أو لا ؛

فإن كان **عاديا** ؛ فما رأيه ؟

أو متخصصاً مُلِمّاً بأطراف الموضوع ؛ فما رأيه ؟

ولو كان **مسيئا للظن** -وهذا مقتصر على المتخصصين ؛ إذ إن غيرهم يقرأ كلَّ ما يلقى ولا يسيء الظن بأحد- فماذا يمكن أن يكون رأيه ؟

(٣) عرض لخلاصة طرحنا وتعليقتنا .

هذا ، واللهَ أسأل أن ينفعنا وأخانا سالماً بهذه النصيحة ، وقد علّقناها على عجل وكثرة أشغال مع أنها تحتاج لشيء من الروية والتؤدة ، والله الموفق .

عرض لخلاصة طرح أخينا سالم

يصدر أخونا بحثه بخطبة لواصل بن عطاء رائد مذهب المعتزلة ، ثم يعبر عن معاناته تجُاه مصادر التاريخ الحضرمية وأن حقائق تاريخنا مطمورة تحت ركام الاستحسانات الذاتية للمؤرخين وانعدام الموضوعية على بساط التناقض ، وأن بحثه هذا يأتي كقراءةٍ جديدةٍ حديثةِ المضمون والمنهج لسبر دياجير تلك الحقبة المظلمة وعبور نفق ثغراتها المظلم ، قراءةٍ لمرحلةٍ من أخصب مراحل العطاء الفكري .

ثم يشرع في بحثه منطلقاً من كتاب باوزير « الفكر والثقافة في التاريخ الحضرمي » جاعلاً بعض نصوص هذا الكتاب محل دراسة وتمحيص ، مكتفياً في أغلب نقوله بهذا الكتاب الذي يعتبر من الدراسات المعاصرة ، مقررا في البداية أن المذهب الأباضي هو المؤسس للفقه المذهبي السياسي في حضرموت ، مستدلاً بأن ثورة طالب الحق عام ١٢٩ حازت الإجماع و« الرأي العام الحضرمي » .

ثم ينتقل إلى دراسة مذهب الدولة الراشدية (٤٠٠-٧٠٠) ويسرد الأدلة على أباضيتها ويرد على من قال بسنيتها من المؤرخين المعاصرين .

ثم يستمر في تقرير أباضيتها متمسكاً « *بالخيط الذي تضعه بين أيدينا رحلة نشوان الحميري إلى تريم في القرن السادس.. إلخ* »[1] ثم يورد الأبيات التي امتدح بها نشوانُ علماءَ تريم ، ويقوم بتحليلها وتلمس أصول المعتزلة الخمسة فيها ، ثم استنتاج اعتزال الشخصيات التريمية الموجودة آنئذ ، كما يذكر ترجمة السلطان عبدالله بن راشد ويقوم بدراستها والوصول إلى اعتزاله .

ثم يبحث « *عن شمعة تضيء له الطريق نحو الوجود المعتزلي الذي نزعمه في تريم الراشدية.. إلخ* » فيورد ترجمة الإمام سالم بافضل التريمي (ت ٥٨١) من « الفكر والثقافة » لباوزير و« أدوار التاريخ الحضرمي » للشاطري ، ويأخذ في دراسة نصوصها وتلمس جوانب الاعتزال فيها .

ثم يعرض موجزا عن أدب المعتزلة ، ثم يعرض « القصيدة الفكرية » للإمام بافضل التي نظمها في التفكر في مخلوقات الله عز وجل ، ويأخذ أخونا في تحليل أبياتها بحثا عن جوانب الفكر المعتزلي فيها .

ثم يعود إلى مذهب دولة آل راشد ويقرر أباضيته منتهيا إلى أن المذهب الأباضي كان ممهدا للمذهب المعتزلي الذي يقرر وجوده في تلك الفترة . مقرراً **التحول المذهبي في تريم من الأباضية إلى الاعتزال .**

ويعرج على العلاقات بين العلويين وآل راشد ، ثم يختم بحثه .

ثم يعود إلى دراسة ما تبقى من « القصيدة الفكرية » لأنه وجدها طُبعت مؤخرا بعد كتابته للبحث ، ومعها وصية من وصايا الإمام بافضل ، ويدرس القصيدة والوصية ويحللهما متلمسا الفكر الاعتزالي فيهما.

ثم ينتقد رأي الباحث عبدالله الحبشي في « طبقات ابن سمرة » مقررا افتقار الكتاب من تراجم الحضارمة.

---

(١) جعلنا النص المقتطف من بحث الأخ سالم بالحروف المائلة .

سيكولوجية القارئ

على سبيل **حسن الظن** ، إما أن يكون القارئ مثقفا عاديا « من عموم هواة التاريخ » أو باحثا متخصصا خبيرا ؛

فإن كان عاديا فإنه سيتأثر بالمقدمة ويتوقع أن هذه الدراسة من النوع الذي يسلط نفسه على نصوص الكتب الأصيلة ويبحث فيها عن الحقائق ، ثم يفاجأ بانطلاق أخينا من نصوص كتاب معاصر وهو كتاب باوزير ، ثم باكتفاء الكاتب به في أغلب النقول .

ومما سيلفت نظره شدة بحث الكاتب في القصائد مع أنها تضعف عن وصولها إلى مستوى الأدب العربي الذي يمكن أن نستنبط منه. وأن هذه القصيدة يمكن أن يكون قائلها شيعيا أو سنيا أو إسماعيليا أو غير ذلك دون اختلال فيها ؛ لأن النقاط التي توقف عندها الكاتب « عادية جدا » و« تحتمل أوجها » ، ولا يوجد فيها نص قاطع يحدد هوية قائله.

ومما يمكن أن يشكل على القارئ السلوك الغريب الذي اتصف به الباحث طيلة بحثه في الرفض والقَبول في تعامله مع النقول ، على غير ما قاعدة غير الفكرة المسبقة عنده التي عبر عنها بقوله : « *الطريق نحو الوجود المعتزلي الذي نزعمه في تريم الراشدية* » . والتي قد تصل به إلى انتهاك حدود اللياقة الأكاديمية بالاتهام بالدس بسبب التشاؤم من التراث الذي بين أيدينا.

وهذا كله ، بالتأكيد ، يعني سلبية انطباع القارئ العادي عن البحث

أما لو كان القارئ متخصصاً فسيقوم بالرد الفوري مع الانفعال أو بدونه ، فأما الأول فننزه أنفسنا عن أقل منه[1] التزاما بضوابط وآداب النقاش الأكاديمي ؛ ولكننا سنجمل انفعالات هذا القارئ آخِراً مع بيان انطباع القارئ المسيء للظن ، وأما الثاني فهو ما نراه ولكن **لا على سبيل الرد** بل **على سبيل النصيحة** والأخذ بيد الكاتب إلى الحقيقة **إحياء للمنهجية الحديثة في أوساطنا الأكاديمية** .

---

(١) لأن **علم المناظرة** – الذي هو فرع من علم المنطق – **يفرض علينا الالتزام بآداب النقاش.**

المناقشة

ليس البحث عن الحقائق بُلغةً يتبلغ بها المسافر في دروب التاريخ ، وليست قراءة المراحل والحقب نافذةً يطل منها الوسنان ، وليست القراءات الحديثة والاستقراءات المعاصرة و (إعادات النظر) عجالة يكتفي بها المُخِفّون، إنها فن لا يجيده إلا أهله ، وهم الذين توفرت فيهم صفة واحدة فقط، ألا وهي الصبر والجلد والبحث الدؤوب.. وهذه الصفة يبدو لنا أنها لم تتوفر بشكل كاف في أخينا الكاتب.

ولو قُدم هذا البحث لدكتور أو مشرف أكاديمي في أقسام التاريخ في جامعاتنا فلن يقبل مناقشة مثل هذا البحث حتى تطرأ عليه تعديلات منهجية . يؤسفني أن أقرر حقيقة كبيرة تتعلق بهذا البحث ، ألا وهي افتقاره إلى أبسط مقومات البحث الأكاديمي، من توثيق لكل كلمة يقولها ، وتمحيص لكل نقل ينقله ،

- وإلى عدم ذكر بعض الألفاظ كـ« لا يستطيع أحد أن ينكر » أو نظيرها « من المعلوم » ،
- وإلى بناء الاستنتاجات على قواعد متينة من الأدلة النصية والاقتضائية ،
- وإلى عدم نشر الآراء الشخصية والنزعات الاجتهادية مع فرضها على القارئ وبناء نتائج البحث عليها بالطريقة التي قام بها الكاتب.
- بدءاً.. هجم على مصادر التاريخ الحضرمي كلها هجوماً قاسياً في مقدمته التي تفيد تشاؤم الكاتب «التشاؤمَ العلمي التاريخي» .
- اكتفى باليسير من المراجع وانطلق منها.
- أخذ يحلل ويدرس ويقارن داخل دائرة آراء المعاصرين وجعلها كالنصوص الأصيلة في البحث.
- أغفل أمهات الكتب والمصادر الأصيلة في تاريخنا التي تحمل النصوص (المادة الخام) التي عليها المعول في الاستقراء والتتبع .
- أغفل دراسة التطور الفكري للمذاهب في حضرموت من خلال تتبع مصادر التراث مستعينا بعلم المكتبات « البيليوغرافيا Bibliography » .
- أغفل دراسة علم الطبقات واستقراء التراجم من خبراء التراجم بشكل كاف .
- تسرع في اتهام أو تصديق بعض النصوص دون تأن.

وسوف تظهر هذه التجاوزات التي وقع فيها الكاتب للقارئ من خلال المناقشة التي لن تخرج عن كونها مناقشة جامعية في وسط أكاديمي .

وبعد هذا الاستهلال الذي أودعناه غاية انطباعنا نستأنف المناقشة على شكل وقفات:

بدايةً: يجب أن نحدد الغرض من الدراسة ونطاقها ، فالغرض : استجلاء الصورة التاريخية والسياسية، والنطاق: القرن السادس في مدينة تريم بالذات ، هكذا ختم الكاتب مقدمته ، ولذا سوف نقصر المناقشة في هذه الحدود.

للأسف.. قد اكتفى الكاتب بكتاب باوزير ، وهو من الكتّاب التقليديين في تاريخنا ، وقد وقع باوزير في ذات الوهم الذي وقع فيه الكاتب ، ألا وهو محاولة دراسة الفكر في بلد ما دون التعرض لتراثه من خلال علم المكتبات ، دون دراسة كافية لمصادر التراث: دون تتبع للمخطوطات والمصنفات. إن دراسةً للمخطوطات في أي بلد تعطي الباحث نظرة واضحة عن التطور الفكري لتلك البلد ، والاتجاهات الفكرية ، متى بدأت وكيف انتهت ، وهل كان هناك تعايش بين المذاهب . وأيضا ينبغي تتبع كتب التراجم: الحضرمية وغيرها ، والبحث عن الشخصيات الحضرمية هنا وهناك ، ودراسة ظاهرة الهجرة ، والاتصالات الفكرية والعلاقات العلمية بين علماء حضرموت وعلماء المناطق الأخرى[1].

الذي أود أن أخلص إليه هو إن كتاب باوزير ليس إلا مجموعة آراء لمؤلفه في تراثنا لا تمثل الفيصل في الفكر الحضرمي ، لذا فإن تسليط الضوء على آرائه وجعلها من محاور الدراسة نقدا وتمحيصا -وهو الذي قام به الباحث- أمرٌ في غير محله .

وهذا كله أثّر على جعل الدراسة تسير في نفق مغلق

ولكننا سنساير الكاتب في كثير مما توصل إليه ونتوقف حيثما تستحق الوقفة

الوقفة الأولى: ذكر الكاتب أن ثورة طالب الحق كانت « *بتأييد جماهيري وصلت إلى درجة الإجماع العام والشامل ، ومعلوم أنه في تلك الفترة المبكرة من العصر الإسلامي لم تكن هناك مذاهب تتصارع على السيادة في المجتمع الحضرمي ، وهو الأمر الذي جعل من المذهب الأباضي هو المؤسس للفقه المذهبي السياسي في حضرموت..* » إلخ كلامه .

---

(١) وأضرب على ذلك مثالا في كتابين: الأول: « الاتجاهات المذهبية في اليمن حتى عام ٣٠٠ هـ » للدكتور محمد عيسى الحريري أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة وكيل كلية الآداب بجامعة المنصورة ، وهذا الكتاب هو عبارة عن دراسة رصينة سلط فيها الباحث تحليلاته على نصوص مختارة بعناية من خمسين مصدرا تاريخيا: حضرميا ويمنيا وغير يمني ، توصل فيها إلى عرض جميل متناسق للاتجاهات الخمسة في القطر اليمني: السني ، الشيعي ، الأباضي ، الزيدي ، الإسماعيلي ، ورجع في كل اتجاه إلى مصادره حتى يميزه عن غيره ، ثم انعطف على المصادر الأصيلة للتاريخ وأخذ يغترف منها ما يتناسب واستجلاء الصورة الفكرية والسياسية في تلك المرحلة.
الثاني : « مصادر الفكر الإسلامي في اليمن » للمؤرخ المحقق عبداللّه الحبشي ، هذا الكتاب يعطي ملمحا كافيا للتطور الفكري من خلال المصنفات في شتى العلوم ، منذ بداية الإسلام حتى القرن المنصرم ، وكاتبه من أدرى الباحثين بالخزائن والمكتبات ، بل هو خرِّيتها وخبيرها .

وهذا التصور الذي أطال فيه غير سليم ، فإن طالب الحق ينتمي إلى قبيلة كندة التي تسمى قبيلة الملوك ، والتي يتطلع أبناؤها إلى الملك تطلعا ينبض في عروقهم ، ثم إن قراءة الواقع في تلك الفترة يوقفنا على ظاهرة منتشرة في أنحاء البلاد وهي الرغبة في خلع مروان بن محمد والثورة على الأمويين ، وقد استغل أبوحمزة المختار بن عوف الأزدي - وهو من كبار زعماء الأباضية - هذه الظروف وقام بمراسلة زعماء القبائل في حضرموت ، وقد التقى بطالب الحق في موسم الحج نهاية عام ١٢٨ وسمع منه طالب الحق دعوته إلى الثورة فأعجبته ، وكان امرءاً مطاعاً في قومه ، فتبايعا على ذلك وخرجا معاً إلى حضرموت وهناك بايعه بالخلافة. وقد قام فوراً بمراسلة زعماء الأباضية في عُمان وغيرها[١]، ولم يظل أكثر من أشهر حتى قال لأصحابه وقبيلته: لا يحل لنا المقام على ما نرى، وسماه أصحابه طالب الحق ، وقوي جمعه وشأنه ، ولم يطل به المقام حتى هجم على صنعاء عام ١٢٩[٢]. فقد كان المذهب الأباضي وليد لحظته وجنينا سياسيا خرج خديجاً قبل تمامه.

وانظر إذا شئت « الاتجاهات المذهبية في بلاد اليمن حتى عام ٣٠٠ هـ » للدكتور محمد عيسى الحريري ، وكذلك « الكامل » لابن الأثير (ت ٣٦٠ هـ) (٥: ٣٥١) ، و« نهاية الأرب » للنويري (ت ٧٣٣ هـ) (٢١: ٥٣٠) تحقيق البيجاوي ، و«غاية الأماني» ليحيى بن الحسين (ت ١١٠٠ هـ) (١: ١٢٤) .

فالتأييد إنما كان من قبيلة طالب الحق فحسب ، وتبنيه المذهب لم يكن فكريا بحتا بقدر ما وافق دوافع مسبقة عرقية وشخصية ، كما أنه كان يتطلع إلى صنعاء ، وبعد أن دخلها « بايعه كثير من اليمانية الذين رأوا فيه من يخلصهم من ظلم بني أمية وجورهم[٣] » ، ثم - فجأةً وبسرعةٍ - تطلع إلى الحرمين واستولى عليهما .

ثم يستمر في فتوحه إلى أن أرسلت إليه الحكومة الأموية جيش ابن عطية كما اتفقت عليه المصادر إلى أن يقوم عبدالرحمن بن عطية نائبه بالأخذ بثأر ابن عطية الذي اغتاله الأباضية ، فيرسل جيشا بقيادة البارقي ، «أمره بحصد الأباضية في كل مكان ، فقتل الرجال والصبيان ، وبقر بطون النساء ، وأخذ الأموال ، وأخرب القرى ، حتى لم يبق أحد من قتلة ابن عطية ولا من الأباضية إلا قتله ، وظل باليمن حتى سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية »[٤].

لحريري: وكتقويمٍ سليمٍ لحركة طالب الحق فإننا نرى ما قرره الدكتور الحريري في دراسته ، يقول د. ا

الواضح أن « وإذا كان من وقفة لتقييم المرحلة التي مر بها الاتجاه الأباضي في اليمن في ذلك الوقت ؛ فمن

قية اليمن ؛ الاتجاه الأباضي كانت إمكاناته الاقتصادية والبشرية كانت تتطلب وقتاً أكثر لتدعيم موقفه في ب

عوة العباسية ولكن طالب الحق لم يعط هذه الفرصة لنفسه ولأصحابه ، ولعل تسرعه هذا كان بسبب إعلان الد

---

(١) « غاية الأماني » ليحيى بن الحسين (١: ١٢٤) . وأغلب هذه النقول استفدناها من الحريري في دراسته الر صينة .

(٢) الكامل لابن الأثير (: ٣٥١) ، والأغاني للأصفهاني (٢٣: ٢٢٤ ، ٢٢٥).

(٣) « الأغاني » للأصفهاني (٢٣: ١١٠) وما بعدها ، « الاتجاهات المذهبية » للحريري ص٢١ .

(٤) « الأغاني » (٢٣: ٢٥٦) .

في المشرق ، دعاه ذلك إلى سرعة التقدم نحو الحجاز ، فكان أن واجهتْ قواتِه المحدودةَ بشريا واقتصاديا إمكاناتُ دولة كاملة ، متمثلة في الجيش الأموي بقيادة عبدالملك بن عطية[١] .

يضاف إلى ذلك أن زعماء الحركة الأباضية كلهم قدموا أنفسهم على نحو بطولي ، دون تقدير للعواقب ، فقتلوا، وبالتالي ، فلم يجد الاتجاه الأباضي قيادة تحميه وتدبر أمره في الأوقات العصيبة التي مرت به ، وأدى ذلك بطبيعة الحال إلى سهولة التخلص من بقايا أتباع المذهب الأباضي ، الذين لم يكونوا قلة كما تصورهم البعض ، وإنما كان هذا الاتجاه في اليمن في هذه الآونة رمزا للمعارضة للأمويين ، ولذلك وجد قبولاً لدى الكثيرين من أبناء اليمن ›› . انتهى كلامه . ثم يستطرد قائلا عن المذهب الأباضي : ‹‹ وكان معتنقوه يمثلون اتجاها مذهبيا واضحا وإن كان تأثيرهم السياسي يكاد يكون غير ذي بال ›› .

ولهذا فقد بدأ الدور السياسي لهم يتلاشى في القرنين الرابع والخامس ، وأما الدور الفكري فقد كانت عقيدتهم التي خطب بها طالب الحق وأبوحمزة في الجوامع : ‹‹ ..من سرق فهو كافر ، ومن زنى فهو كافر ، ومن شك في كفرهما فهو كافر.. ›› دخيلة ومرفوضة قِبَل اليمني المسلم[٢]، وكل من ذكرتهم كتب التاريخ من الشخصيات الأباضية لم يكونوا إلا دعاةً للحكم تحت ستار المذهب ، لذا فقد كثرت الردود على الأباضية[٣] واستمرت المناظرات الكثيرة بينهم وبين علماء الزيدية[٤]، وكذلك بينهم وبين المهاجر أحمد بن عيسى العلوي، ‹‹ الذي نجح في صرف عدد كبير من الأباضيـة من أهل اليمن عن مذهبهم خلال حواره معهم ومناظرته لهم››[٥]. ولم يؤلف أيٌّ من دعاتهم مؤلفاً في الرد أو المناظرة مما يوضح أنهم دعاة بمعنى الزعامـة لا بمعنى العلم

---

(١) من أهم الوثائق التاريخية في ذلك الوثيقة المهمة التي نقلها الأكوع في كتابه ‹‹ الوثـائق السياسـية اليمنيـة ›› وأشار الخليفة مروان فيها إلى القائمين بهذه الثورة الأباضية ، وقال عن عبدالله بن يحيى طالب الحق : ‹‹ إنه طالب الذبح أعور الأباضيـة ›› ، وفي نهاية الكتاب يأمر واليه أن ‹‹ أقرئ كتاب أمير المؤمنين على من يليك من رعيتك لعل الغِلظة أن تَكُفهم ، أو العَبْرَةَ أن تَحْجُزَهُم ›› . انظر ‹‹ الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الإسلام إلى سنة ٣٣٣ هـ›› للأكوع.

(٢) كما أنهم اشتهروا في اليمن بألقاب لم يعرفوا بها في غير اليمن كـ‹‹ المُصَرَّرَة ›› ، ذلك أن الواحد منهم كان يتخذ لنفسه صُرَّةً أو كيسا فيه رمل حول مجرى البول ، وكلما ابتل الرمل من البول بدّده واستعمل غيره، وذلك تشددا وتحرزا من النجاسة، انظر تاريخ ابن المجاور ‹‹ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز ›› أو ما يسمى بـ‹‹ تاريخ المستبصر ›› تحقيق لوفغرين ص٢٧٩ .

قلت: وهذا من العجب! وأيُّ مذهبٍ فقهي استندت إليه ثورات الأباضية حتى نعتدّ بـه ويتقبله الحضارمة؟ وما ذكره ابن المجاور هنا من أنه مذهب الحنابلة وَهَمٌ لأن الحنابلة من هذا التشدد براء.

(٣) ‹‹ أخبار الزيدية باليمن ›› لمسلم اللحجي (ت ٥٤٥ هـ) مخطوط ورقة ٤٠أ ، ٤٤ب ، ٤٥ ب ، ‹‹ الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية ›› للمحلي (ت ٦٥٢ هـ) (٢: ٤٦) .

(٤) المصدر السابق ورقة ٤ب ، ٤٤ب.

(٥) ‹‹ اليمن في ظل الإسلام ›› د. عصام الدين عبدالرؤوف ص٧٠ ، تاريخ حضرموت للحامد (١: ٢٠٤) ، ‹‹ الاتجاهات المذهبية ›› للحريري ص٣١ .

والفكر ، وانظر في ذلك حتى تطمئنّ كتاب السالمي في طبقات الأباضية ، ومما يزيد في الاطمئنان كتاب تاريخ أبي زكريا (ت ٤٨٠ هـ) «سير الأئمة والملوك» الذي يعد من أقدم مصادر الأباضية إن لم يكن أقدمها ؛ تقف على عدم وجود أي وجودٍ فكريٍّ أباضيٍّ في حضرموت .

فرع: قال : «*إن الخارطة السياسية لحضرموت لم يطرأ عليها أي تعديل من حيث الأسر الحاكمة منذ القرن الخامس على الأقل وحتى القرن السابع ، هذا الثبات يستلزم الثبات في الأوضاع المذهبية..* »

ولبيان ذلك لابد من العلم أنه لا توجد علاقة مطردة منعكسة بين الفكر والسياسة حتى نربطهما بقوة ، ولكن التغيرات المذهبية ربما تضعف من السلطة ، وتغيرات السلطة ربما تضعف من المذهب ، أما أن نجعلها علاقة اقتضاء كما قرره الكاتب وبنى عليه فغير صحيح ألْبَتّة.

والذي نراه أن الوجود الأباضي بعد انكسار طالب الحق كان عبارة عن فلول تشرذمت هنا وهناك في فدافد وادي حضرموت، لا تنضوي تحت قيادة موحدة ولا تخطط للتوسع بل تكتفي بالانقضاضات المفاجئة على نحو بطولي دون تقدير للعواقب مع :

(١) شحة إمكانياته.

(٢) مواجهة الهجمات المتكررة من الدول الكبرى كالدولة الأموية المار ذكرها ، والدولة الصليحية عام ٤٤٥ ، والأيوبية في ثورة الزنجيلي .

(٣) تربص زعماء القبائل – وهم كثر في مهامه وسباسب وادي حضرموت – لأية انقلابات أو نحوها للانقضاض على الحكم .

لذا فإن قول الكاتب «*إن الخارطة السياسية لحضرموت لم يطرأ عليها أي تغيير منذ القرن الرابع وحتى السابع.. إلخ* » مجازفة كبرى قام بفرضها على القارئ وبنى عليها ما يحلو له من نتائج اعتبرها قطعية ، مما يتنافى مع أصول الاستنتاج العلمي المتبع في الأطروحات الأكاديمية .

ومما زاد في ضعفهم وفَتّ في عَضُدهم المظهر الكبير الذي ظهر به الداعية السني المهاجر أحمد بن عيسى العلوي عندما وصل حضرموت من العراق عام ٣١٧ ، وأخذ يقيم الحجة على الأباضية ويظهر للجميع الأخلاق النبوية والكرم الأصيل ، فيشتري الأراضي ويهبها لأتباعه ، ويحفر الآبار ويغرس النخيل حيثما حل ، ويعمر كل بلدة مر بها ويحرك اقتصادياتها ، ويتنقل من مكان إلى آخر دون معارض أو مخالف ، حتى استقر قرب تريم في الحسيسة بعد أن أرسل ولده عبيدا لله إلى الحجاز لتلقي العلم وعاد وتصدر في عهد والده وقام بالأمر من بعده ، وتنقل وأظهر ذات السيرة الكريمة التي كانت لوالده . إن وجود مثل هذه الشخصيات في

المجتمع الحضرمي المكدود في تلك الأزمنة بالحروب والأفكار التي لا تعرف غير السيف حلاً وجود مثله يستقطب الجماهير ويستحوذ على الرأي العام .

وأنصح القارئ أن يستزيد عن طبيعة فكر الأباضية من كتاب إبراهيم العدوي « بلاد الجزائر ، تكوينها الإسلامي والعربي » وكتاب د. عوض محمد خليفات « نشأة الحركة الأباضية » لعله يقف على مدى تَقَبُّل نفسية الحضرمي لهذا الفكر.

نخلص مما مضى إلى أن ما أراد الكاتب تقريره من الإجماع العام على المذهب الأباضي وما لحقه من وجود سياسي كبير وما ألحقه به من استنتاجات ودفوعات كان **نتيجة تسرع في جمع النصوص وفهمها** ، **ولا يخلو من مبالغة في الوصف وتقدير النتائج** ، وإذا لم تكن هناك مذاهب متصارعة كما يقول ؛ فلا ينكر أحد وجود زعماء يتطلعون إلى الملك طمعاً أو نزعةً توارثوها عن آبائهم كما عند كندة.

وقد ذكر الكاتب بعد ذلك كلاما لا يخرج عن دائرة الاستنتاجات المفتقرة إلى النصوص القاطعة ، فلا حاجة للتعرض إليه.

الوقفة الثانية:

أما عن مذهب الدولة الراشدية فليس الأمر سهلاً كما تصور ، إذ إنه لابد في البداية من تسجيل الاعتراف بانعدام المؤرخين **الحضارمة** في تلك الفترة المبكرة حتى نأخذ النتائج القاطعة ، ولذلك فلا سبيل إلى معرفة المذهب إلا من خلال القراءة الواعية لتاريخ الأيوبيين **من مصادره** وسبب قيامهم بتلك الهجمة الشرسة، وأيضا من خلال علم التراجم حيث توفرت لدينا ترجمة السلطان عبدالله بن راشد .

فأما عن **سبب الهجوم الأيوبي** فقد استفاض الشامي في كتابه الحافل « تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي » (٣: ٩-١٥) في سبب الحملة ، ونقله عن ابن الأثير و الجندي وسعيد عاشور محقق «غاية الأماني»، ويلخص رأيه في أهمية اليمن الجغرافية بالنسبة للحرمين الشريفين ، فقد سلك الغزو الحبشي الصليبي في عام الفيل طريق صنعاء ، وجهز طالب الحق جيشا أخاف به الأمويين منها أيضا ، وأن الخليفة هارون الرشيد قد أمر باقتياد الإمام الشافعي إليه من اليمن خوفا من أن تقطع الخطبة له على منابر اليمن ، خصوصا وقد تناهى إلى مسامع الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب « أن رجلا باليمن يسمى عبدالنبي بن علي بن مهدي أوغل في سفك الدماء ، ونهب الأموال ، وتطاول حتى زعم أن ملكه يطبق الأرض ، ويسير فيها مسير

الشمس ، غضب لذلك وبعث أخاه توران شاه بن أيوب »[1] . **والخلاصة أن الهدف استيراتيجي صـرفٌ ولا علاقة له بالمذهب .**

كما يشير الشامي ص١٤ بشيء من التحقيق الذي يُسجِّل له إلى أنه « ثمة أمر آخر لا يقل أهمية عن ذلك الظرف السياسي والاجتماعي ، وهو ما تعلمناه من التاريخ القديم والحديث ، وفي كل مكان وزمان ، من أن نجاح أي حملة عسكرية من بلدٍ ما – مهما كانت أسبابها – إلى بلد آخر مهما كانت ظروفه السياسية والاجتماعية ؛ يتوقف على تعاون وتخطيط مسبق مع عناصر وطنية من البلد المغزو نفسه » ، وسوف نستفيد من هذه النقطة عند توقفنا عند قضية الوجود المعتزلي .

وبذلك يتبين السبب ويبطل العجب ، ولا داعي لتلك الخلافات التي دخل فيها كاتبنا مع العلامة الشاطري وغيره في سبب الهجوم الأيوبي .

وأما عن **شخصية السلطان عبدالله بن راشد** فإن الترجمة التي ترجم العلامة الشاطري له بها كافية في تحديد مذهبه ، فقد تتلمذ على يد الإمام يحيى بن سالم بافضل ، وليس هو المعني في قصيدة نشوان ، إذ كيف يليق به بعد أن استضافه أهل تريم عامين ونصف وحصل الود بينهم أن يمدح الأب الشيخ سالم بافضل ويمدح ابنه معه وهناك من هو أسنّ وأعلم وأعظم قدراً منه ، ألا وهو الإمام الشهيد يحيى بن سالم أكدر الذي توفي عام ٥٧٦ ، وقد توفي نشوان عام ٥٧٣ ، والحال أنه قد غادر تريم قبل هذا التاريخ ، ولذا فهو المقصود بالبيت تماما[2] . وسيأتي تفصيل الكلام على نشوان في الوقفة الرابعة .

ويحيى بافضل من أقران الإمام الفقيه المقدم – ونعتزم نشر دراسة مفصلة عن عصره وشخصيته ومنهجه ومواقفه من تأليف العلامة المؤرخ السيد أبي بكر بن علي المشهور – المعروف بنصرته للسنة ، ولو كان أباضيا أو معتزليا لقاوم الفقيه المقدم في قراراته المعروفة تجاه المدرسة الحضرمية ؛ لأن الفقيه غيَّرَ مسار مدرسة حضرموت بمنهجه ، وبدأت من بعده هجرات الدعوة ونشر الإسلام ، وكان لمدرسة حضرموت ذلك الصدى الكبير .

وقد تتلمذ على أبيه ، وأبوه من أكابر أئمة أهل السنة ، وسوف يأتي تفصيل ذلك في الوقفة التالية .

---

(١) « غاية الأماني » ليحيى بن القاسم (١: ٣٢٢) بتحقيق عاشور .

(٢) وانظر في هذه النقطة البحث الجيد الذي بحثه الحامد في « تاريخه » (٢: ٤٨٤) .

كما أن السلطان راشد تتلمذ على يد إمامين عظيمين من أئمة أهل السنة ، ألا وهما الإمام الحسن بن محمد بن الحسن ابن عساكر صاحب كتاب « تبيين كذب المفتري على الإمام الأشعري » الذي توفي عام ٦٢٩، وليس عام ٥٧١ كما ذكره الكاتب أو الحامد أو شنبل أو غيرهم ، إذ لابد - أكاديميا - من تحقيق النقول وتوثيق الوفيات من كتب الفن ومن المؤرخين كل بحسب بلده وزمنه[١]، وهذا خطأٌ أكاديميٌّ يجدر التنبيه إليه ارتكبه الكاتب. وإن سأل عن الموضع فهو الحرمان الشريفان في موسم الحج حيث ملتقى جميع العلماء وحيث كان يحدث ابن عساكر مع عدم قدح جهالة المكان في أصل السماع وثبوته.

والإمام محمد بن إسماعيل ابن أبي الصيف الملقب بفقيه الحرم الشريف[٢]، قال عنه الجندي في «السلوك» (١: ٤٠٩) :وهو أحد الحفاظ المكثرين ، لقي عدة من الفقهاء والمحدثين ، وعاصر جمعا منهم الحافظ السِّلَفي وابن الجوزي . ولا أدري لماذا اكتفى أخونا سالم بالنقل من عارف الذي ليس من أهل التراجم ، ولم يكلف نفسه مراجعة « السلوك » أو غيره من المراجع المختصة ، وهذا خلل أكاديمي ينبغي التنبه إليه .

والمشكلة أنه رتب على الخطأين المتقدمين عدة نتائج علمية خاطئة كان أشدَّها الاتهام بالتزييف والكذب لمؤرخين فضلاء ، وهذا مما لا يسمح للباحث الوقوع فيه أيا كان إلا بعد التحري الشديد خصوصا إذا كان المتهم من المؤرخين المعروفين في التاريخ وفي الأوساط العلمية وله رصيده في مجاله.

كما أنه سمع « صحيح البخاري » من المحدث محمد بن أحمد بن النعمان الهجراني الذي كان يحدّث بعدن، ومن الغريب في علم المصطلح وفي علم الإسناد ما قاله الكاتب من أن جهالة زمان التحمّل ومكانه يقدح في أصل السماع ؟! فما دامت المعاصرة قد ثبتت فلا يقدح فيه ، فكيف وقد نص أحد المؤرخين عليها سواء حدد الزمن بالضبط أو تشكك غيره وذكر الزمن بالتقريب[٣].

---

(١) مما يؤاخذ عليه الباحث أكاديميا أن يأخذ أحداثا شامية من كتاب حضرمي أو ترجمة مصرية من مؤرخ يمني كما وقع فيه الكاتب.

ولتوثيق هذه الترجمة انظر « طبقات الشافعية الكبرى » لابن السبكي (٨: ١٤١) برقم (١١٣٢) تحقيق د. الحلو ود.الطناحي، وللاستزادة انظر « التكملة » للمنذري (٥: ٣٨٦) ، « سير أعلام النبلاء » للذهبي (٢٢: ٢٨٤) ، « شذرات الذهب » لابن العماد (٥: ١٢٣) ، « طبقات الإسنوي » (٢: ٢٢٠) ، « الوافي بالوفيات » للصفدي (١٢: ٢٥٣) .

(٢) انظر ترجمته في طبقات السبكي (٨: ٤٦) برقم (١٠٧٠) ، تكملة المنذري (٤: ٤٦) ، (٥: ٣٤) ، وله ترجمة طيبة في «العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين » (١: ٤١٥) ، و« فهرس الفهارس والأثبات » للكتاني (٢: ١١٨) .

(٣) ومن ذلك ما ذكره بامخرمة في « تاريخ ثغر عدن » ص١٩٩ في ترجمة محمد بن أحمد القريظي ، من أنه سمع على المحدث محمد بن أحمد الهجراني « شمائل الترمذي » بعدن في سنة ٥٦٥ .

ولما قام إمام الزيدية عبدالله بن حمزة بدعوته وكاتب الملوك والزعماء بنصرته والانضواء تحت راية أهل البيت بقصائده البليغة وشعره الساحر تلقى تجاوبا طيبا من سلاطين الأصقاع البعيدة فضلا عن القريبة ، وممن كاتبه السلطان عبدالله بن راشد كما ذكره زبارة في كتابه « أئمة اليمن » (١: ١٢٠،١٤٢) ، فقد كتب «مهنئاً للإمام ومتعرضاً لخدمته» :

الآنَ قَرَّتْ على الآساسِ أركانُ ... وطالَ للدينِ والإسلامِ بُنيانُ
وقامَ بالشرفِ البَذّاخِ صاحبُهُ ... وعزَّ للدولةِ الغراءِ سلطانُ
مَن جدُّه الأقدمُ الأعلى نبيٌّ هدىً ... وجَدُّهُ الأقربُ الأدنى سليمانُ
ذاك ابنُ حمزةَ عبدُاللّه نورُ هدى ... به المكارمُ والعلياءُ تزدانُ

وهذا يبين التقارب الكبير بين أهل السنة وأئمة الزيدية والتعايش المذهبي الذي خصص الدكتور الحريري كتابه « المذاهب الفكرية » لتبيانه وتوضيحه ، ولا ننسى أن الأباضية – حتى عند أقل فرقها تشددا كما في عصرنا الحاضر – منحرفةٌ عن آل البيت انحرافاً واضحاً ، كما لا ننسى موقفهم المشترك مع المعتزلة من مسألة الخلافة وإمامة آل البيت .

تعارض غريب!!

يوضح الكاتب في آخر كلامه عن قيمة أحمال الكتب التي أتى بها الشيخ سالم بافضل معه من العراق ، ويبين أنها إنما كانت كتباً للفكر والعقيدة المعتزلة لمجادلة المخالفين من أهل السنة ، وكذا لمجادلة الأباضية « من *أجل تحجيمها وتبيان عيوب منهجهم ونواقصه وثغراته ، وتلك بالنسبة للمعتزلة في غاية الأهمية ؛ لأن النجاح فيها يعني تقليص الحجم والدور الأباضي واتساع الدائرة الاجتماعية للاعتزال* » .

ولكن ألا يعني هذا « التقليص للدور الأباضي » : التقليص للتعايش المذهبي الذي يريد الكاتب إثباته في مواضع كثيرة من بحثه ؟

إن الكاتب يضع نفسه في موقف محرج عندما يريد أن يجيب على هذا التساؤل:

لا شك أنه ما من نهضة علمية إلا وينتج عنها عطاءٌ فكري ، خصوصا إذا تواجدت عدة مذاهب يقوم كل منها بمناظرة الآخر أو الرد عليه ؛ ولكن عند الرجوع إلى تراثنا لا نجد إلا مصنفات أهل السنة ، فإذاً ؛ أين تراث الأباضية ؟ بل أين تراث المعتزلة ؟ بل أين العطاء الفكري للجدل الذي قام بينهما ؟ أين هذه الكتب التي بها « *جذب الكثير من الأباضية إلى مذهب الاعتزال* » ؟ إنها – إذا كانت قد أحرزت هذا النجاح حقا- لابد أن تكون قد وصلت نسخ منها – مع الضجة التي حصلت – إلى شمال عمان على الأقل حيث أئمة المذهب

وعلماؤه ، ثم قاموا بكيل الردود عليها والترجمة لأصحابها ولو عالماً حضرمياً واحداً[1]. فالمشكلة ليست محصورة في أن أهل السنة تتبعوا تراث المعتزلة وقاموا بإفنائه عن بكرة أبيه كما يقرر الكاتب ، بل هناك كتب الأباضية ، وهناك كتب الردود والمناظرات والعطاء الفكري بين المذهبين.

لا دخان من غير نار.. وأما إذا كنا نريد نتلمس وجود الدخان فلا نظن أن هناك نارا .

هذا السؤال نترك للأخ سالم حرية الإجابة عليه ، ولا أشك أنه سيبذل قصارى جهده في البحث حتى يتوصل إلى إجابة كافية **أكاديميا**.

الوقفة الثالثة:

حاول الكاتب بجهد كبير إثبات اعتزال الشيخ سالم بافضل ، وذكر في تحليله للمنظومة الفكرية[2] دلائل واستنباطات توهَّمها دراسةً لتراث الشيخ سالم ، وظنها محاولةً لقراءة فكره ، وهي -في نظرنا- خالية من الموضوعية الأكاديمية ، ونبدأ فنقول:

إن الكاتب عندما تحدث عن أدب المعتزلة وبلاغتهم وسحر منطقهم كان محقا ، ولا أدل على ذلك من كتاب « البيان والتبيين » للجاحظ الذي كان علماء تريم منذ فترة قريبة يدرسونه لطلابهم في رباطها[3] ، ولكن المنظومة الفكرية ليست من قبيل الأدب العربي ، إنما هي من قبيل ما يسمى بنظم الفقهاء الذي تكثر فيه التكلفات اللغوية والضرورات الشعرية والعيوب البيانية وربما النحوية والهدف منه حصر المعلومات حتى يسهل حفظها ، وقراءة عابرة للمنظومة توضح ذلك فضلا عن دراسة أكاديمية ، ولم نقف فيما نعلم على منظومة لعالم من علماء المعتزلة فليس لهم إلا القصائد الطنانة والأبيات البليغة . إنهم شعراء بلغاء وفصحاء يرتفعون عن مثل هذه الكتابات ، وينزهون عن رصف أبيات المنظومات .

ولذلك فلا نستطيع أن نعتبر منظومة عادية مظهرا لشخصية قائلها ما لم تكن من نتاجه الأدبي شعراً قِراحاً، قالت العلماء : من عرض شعره فقد عرض عقله .

---

(١) ولترجم له أيضا مؤرخو المعتزلة في طبقاتهم والذين اشتهروا بهذا الفن إن لم يكونوا واضعيه ؛ إذ إن أول من صنف في الطبقات واصل بن عطاء (ت ١٣١) رائد مذهبهم فكتب كتابه « طبقات أهل العلم والجهل » . وانظر مقدمة تحقيق «السلوك» للأكوع .

(٢) ولا نقول : « القصيدة » .

(٣) ومن ذلك أن العلامة الأديب السيد زين العابدين الجنيد رحمه الله كان يدرسه لطلاب رباط تريم بتوجيه من الإمام عبدالله بن عمر الشاطري ، وقد أخبرنا بذلك الفقيه السيد عمر المشهور صاحب دمون وهو ممن كان يحضر درسه في « البيان والتبيين » للجاحظ.

وإليك إشارات سريعة مع أنها لو عرضت على أي أديب لرفض قراءتها أصلاً فضلا عن إلقائها في محفل أدبي أو أمسية شعرية ناهيك عن دراستها وتسويد الأسطر في تحليلها :

فمن ذلك قوله :

وقد جاء عن خيرِ الأنام محمدٍ   عليه صلاةُ الله في السر والجهرِ

بأنَّ اشتغالَ المرءِ بالفكرِ ساعةً   عبادتُها تُفدى بعامٍ من الدهرِ

فهذا فيه عيب بلاغي وهو التضمين ، إذ ينبغي أن يحمل كل بيت المعنى المطلوب منه لا أن ينقسم المعنى بين بيتين . ومن ذلك قوله :

فمنها الطباق السبع فابصر بعبرة   إلى شمسها تبصر إلى أعجب الأمر

إذ إن الفعل « أبصر » يتعدى بنفسه ولا يحتاج إلى حرف الخفض « إلى » . فهو من الضرورات التي تسمى بـ« الزيادة للوزن » . ومثله قوله : لأَضْحَوْا جميعاً عارفينَ بعَجْزِهِمْ ، فالباء زائدة . ومنه قوله :

بلا عمدٍ منهلٍّ بالوَبْلِ والقطرِ

فقط اكتفى بجر « الوبل » دون تنوين لضرورة الوزن . ومن ذلك :

وهيّا بغالاً معْ حميرٍ مراكباً   وخيلاً وخصَّ الخيلَ بالكرِّ والفرِّ

فانظر إلى وصل الهمزة المقطوعة في « هيأ » ولغة « معْ » المبنية على السكون التي يحبها الفقهاء في منظوماتهم ، وإعرابه « مراكباً » مع أن حقه المنع من الصرف . ومنه قوله :

وما لِعَمِيِّ القلبِ في ذاك مِن عُذْرِ

ولم يرد من الفعل « عَمِيَ » اسم الفاعل « عَمِيّ » ، إنما هو تصرف في الاشتقاق اللغوي لضرورة الوزن.

ومنه أيضاً الإكثار من وصل الهمزات المقطوعة وبناءِ « معْ » على السكون وهي لغةٌ فيها ، وإقحام « ما » الزائدة بين كلِّ متلازمين كالمضاف والمضاف إليه كما هو متناثر في المنظومة .

وفيما مضى شواهد سريعة تكفي كل من لديه أدنى إلمام بأنظام الفقهاء حتى يميز الأدب من غيره .

وأما عن تحليلات الكاتب فهي في جملتها ليست ذات دلالة قطعية على المضمون الذي يريده ، وكأنما وضع في نفسه الفكرة ثم أخذ يبحث لها في تضاعيف القصيدة عن شواهد ومؤيدات غير كافية ، وقد وقع في أخطاء أكاديمية لا تغتفر نتيجة نهجه غير السوي الذي انتهجه أثناء تحليله لها ، وسنمر على أهمها سريعا :

أيا فاتحاً باباً عظيماً من الفكرِ   هنيئاً لك الحظُّ الجزيلُ من الأجرِ

هذا البيت هو المقصود تماماً من الآيات البينات ﴿ أفلا تتفكرون ﴾ ﴿ قل انظروا ماذا في السماوات والأرض ﴾ ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين ﴾ وغيرها والتي أمرنا معاشر المسلمين جميعا بالعمل بها ، وليست خاصة بالمعتزلة وحدهم حتى نفسرها بأنها المسألة الكلامية المعروفة «وجوب النظر على المكلف» .

هذا مع تسليم قول الكاتب بأنها من مميزات المعتزلة ، ولكن فاته أن النظر أيضا هو أول واجب عند أهل السنة ، وهذه متونهم الكلامية التي يدرسونها في مدارسهم شاهدة على ذلك ومنها ما قاله الإمام ابن أرسلان في «صفوة الزبد» (١) التي لا زالت تدرس في تريم حتى يومنا هذا :

أولُ واجبٍ على الإنسانِ   معرفةُ الإلهِ باستيقانِ

وحدث عن البحر ولا حرج .

ثم إن الاستدلال بالخلق على الخالق ليس بضاعة المعتزلة وحدهم ، بل هو من أكثر ما اختص فيه متكلموالأشاعرة وأفردوا فيه المصنفات الطوال ، ودونك كتب الإمام الفخر الرازي والبيضاوي والتفتازاني التي تعد من أضخم موسوعات الكلام عند علماء الإسلام(٢) .

ثم يأتي قوله :

وهذا من الرحمنِ لُطْفٌ بخَلْقِهِ   ليُحْصُوا به عَدَّ السنينَ بلا نكرِ

وهذا البيت يشير إلى قوله سبحانه ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾ ولا تميز فيه للمعتزلة عن غيرهم.

ثم قوله :

وفي النار إحراق ونفع وإنها   لكامنة في وسط أشجارها الخضر

---

(١) وقد طُبعت محققة بعنايتنا تحت مراجعة العلامة الفقيه السيد زين بن إبراهيم بن سميط حفظه الله .

(٢) ومنه قول الإمام الغزالي :

قل لمن يفهم مني ما أقول: قَصِّرِ القولَ فذا شرحٌ يطولْ
ثم سرٌّ غامضٌ من دونه   قَصُرَتْ والله أعناقُ الفحولْ
أنت لا تعرفُ إياك ولم   تَدْرِ من أنت ولا كيف الوصولْ
لا ولا تدري صفاتٍ رُكِّبَتْ   فيك حارتْ في خفاياها العقولْ
أين منك الروحُ في جوهرها   هل تراها فترى كيف تجولْ ؟
وكذا الأنفاسُ هل تحصرها   لا ولا تدري متى عنك تزولْ
أين منك العقلُ والفهمُ إذا   غَلَبَ النومُ فقل لي يا جهولْ
أنت أكلُ الخبزِ لا تعرفُهُ   كيف يجري منك أم كيف تبولْ

وصدره أتى على المجاز العقلي ، وهو مستعمل كثيرا في الشعر ، ولا يتبادر إلى الذهن[1] مبدأ السببية وأنها تحرق بذاتها ضرورةً ، فقد قال تعالى : ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس﴾ والمنافع ليست فيها بذاتها إنما هي من عند الله ﴿ وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى ﴾ ﴿ قل كل من عند الله ﴾ ، فالمعنى أن الله خلق فيها الإحراق عند حصوله ، ولذلك ﴿ قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم﴾ .

وعجزه هو المقصود بقوله تعالى : ﴿ هو الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه توقدون﴾.

ومثل هذا قوله : وأعطاك للبطش اليدين..

وأما قوله : فنومك موت وانتباك يقظة.. ، وقوله : وقوم منك الأنف.. فهما من جنس الوعظ الذي لا يدل على فكر صاحبه

ثم قوله :

ولم يشتبه صوتانِ قطُّ لسامعٍ ولا اللونُ في شخصينِ من سالفِ الدهرِ

وهذا لا يدل على « مبدأ التحسين والتقبيح العقلي » ، فلا استحسان أو تقبيح وإنما تمييز بين الأصوات وتفريق بين قويها وضعيفها ونحو ذلك مما فطر الخالق حواس الإنسان عليه .

والغريب في كل هذا أن الكاتب اعتبر الشيخ بافضل «*أحد أئمة المعتزلة ورؤوسها في آخر تطورات هذا المذهب وأرقاها وأكثرها نضجا* » ، إن شخصية مثل هذه لابد وأن تكون قد عرفت في العراق والحرمين حيث رحل الشيخ سالم على الأقل ، ولابد أن تكون بينه وبين المطرفية « الزيدية المخترعة » الذين ظهروا في نفس الوقت ونصروا الاعتزال نصرة كبيرة في اليمن المراسلات والمكاتبات ، ثم الأهم من ذلك أن يترجم له هنا وهناك ما دام « رأساً » و « في مرحلةِ مذهبٍ ناضجةٍ » .

ولكن ننهي كلامنا عن الشيخ سالم أنه من أكابر أئمة أهل السنة ، ولا أدل على ذلك من قوله في آخر منظومته في مناسك الحج :

.... وزُرْ لخيرِ نَبيٍّ شافعِ الرسلِ

وزُرْ وَزيرَيهِ طُوبَى منهما...

(١) والتبادر إلى الذهن علامةٌ من علامات الحقيقة ومؤشرٌ على انتفاء المجاز من اللفظ كما يقول علماء الأصول.

مما يدل على أنه مؤمن بشفاعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة ، وهذا ينافي اعتقاد المعتزلة بالوعد والوعيد ويتأولون الآيات والأحاديث القطعية الثبوت والدلالة التي وردت في ذلك ، ثم إن لهم موقفا معروفا من الشيخين ، والشيخ سالم يحبهما ويعظمهما على نهج أهل السنة .

وكذلك قوله في المنظومة الفكرية بعد أن سرد الحواس الخمس:

وسخَّرها الرحمنُ طوعاً لحكمِهِ ....

ومعناه كما هو واضح أن الحواس بيد الله سبحانه مسخرة بحكمه تعالى وليست بحكم الإنسان ، وهو قوله تعالى : ﴿ والله خَلَقَكُمْ وما تَعْمَلُون ﴾ ، وليس كما يعتقد المعتزلة من أن الإنسان يخلق أفعال نفسه ويتأولون النصوص في ذلك .

وأما شيوخه وأقرانه وتلاميذه فهم أصرح دليل من كل الأشعار ، فقد تتلمذ على الإمام محمد صاحب مرباط وهو من أئمة أهل السنة ، حيث كان جنوب عمان « ظفار » امتدادا للحركة الأباضية التي مركزها شمال عمان ، فكان أن نشر الله على يديه عقيدة أهل السنة هناك ، وتخرج على يديه ابنه محمد الآتي ذكره والإمام علي بن محمد بن جديد والشيخ سالم والإمام محمد بن علي القلعي والإمام ربيعة بن حسن الشبامي وغيرهما ممن نصر السنة .

وأما أقرانه فالإمام محمد بن علي القلعي الذي أطال الكاتب في تحليل أبياته وتلمس جوانب الاعتزال فيها ضاربا بكل الأصول الأكاديمية عرض الحائط ، إذ لا يوجد في الأبيات نص قطعي الدلالة على فكره ، ولا زال الأشاعرة محيطين بالعلوم الكلامية والفلسفية والعقلية للرد على المخالفين ، وهو من أكابر أهل السنة الذين توطد بهم الفكر في ظفار وانتشرت مصنفاتهم وانتفع الناس بها كما يشرحه الجندي في « السلوك » (١: ٤٥٥) بتحقيق الأكوع ، ويشهد لذلك مجالس التحديث التي كان يعقدها في ظفار وتريم ، ومنها تخرج العلماء والفقهاء ، ومن ذلك ما رواه المحدث محمد بن علي صاحب « غرر البهاء الضوي » في ترجمة الإمام عبدالله ابن الإمام محمد صاحب مرباط قال :

ورأيت نسبته هكذا بخطه في إجازة له من الإمام القلعي ، وتعقبه « الشيخ أبي القاسم بن فارس بن ماضي » ، مكتوبةً في الجزء الأول من « جامع الترمذي » : إن الشريف يقرأ وابن ماضي يسمع بقراءته ، وهذه صورتها -أي: الإجازة- :

أجزت لهما جامع أبي عيسى الترمذي وغيره ، وكتبه محمد بن علي القلعي ، وذلك سنة خمس وسبعين وخمسمئة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . انتهى كلام صاحب « الغرر » .

وله كتاب في الدفاع عن الصحابة والترضي عنهم اسمه « لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار » كما في « مصادر الفكر الإسلامي في اليمن » للباحث المحقق السيد عبدالله الحبشي ص٤٥٨ .

وكذلك الإمام علي بن محمد بن جديد (ت ٦٢٠) الذي ذكره بامخرمة في صدر « تاريخ ثغر عدن » ، والشرجي في « طبقات الخواص » ص٢٧٩ ، ٣٣٦ ، والجندي في « السلوك » (١: ٣٧٥) وغيرهم كلهم وصفوه بالاعتناء الكبير بالسنة وعلومها والحفظ والتحديث ، وقد قرأ على الإمام ابن مَعْن القُرَيظِي كتاب « المستصفى في سنن المصطفى » و« تفسير الواحدي » و« النجم في سيرة نبي العرب والعجم »؟ في عدن ، ومن مصنفاته جزء حديثي خرج فيه أربعين حديثا في فضائل الأعمال ، وله أيضا مسلسلات مجموعة في مجلد ، ومنهما نسخة مخطوطة في حضرموت .

ونعتزم طباعة رسالة أفردها المؤرخ العلامة أبوبكر بن علي المشهور اسمها « بنوجديد.. فئةٌ اجتماعية وسلالة مباركة من « آل البيت النبوي » من ذرية الإمام المهاجر أحمد بن عيسى عاشت بحضرموت وانقرضت في النصف الأول من القرن السابع » ترجم فيها لثلاثة من كبار علماء هذا البيت وتطرق لأهم أخبارهم .

وكذلك الإمام المحدث ربيعة بن الحسن الشبامي (ت ٦٠٩) الذي ولد بشبام وتفقه بظفار ، ثم رحل وحدث بمصر والشام ، و « كانت أصوله وكتبه باليمن » ، وانظر في ذلك « التكملة » للمنذري ٢/ترجمة(١٢٤٦) ، و« تذكرة الحفاظ » للذهبي ١٣٩٣/٤ وكذلك « سير أعلام النبلاء » له ، و« بغية الوعاة » للسيوطي (١: ٥٦٦) و«شذرات الذهب» لابن العماد (٥: ٣٧) ، وهو وإن لم ينص على أخذه من الإمام محمد صاحب مرباط فلا يبعد ذلك إذ تكفي المعاصرة لإثبات الأخذ .

ومن أقرانه الإمام محمد بن علي بامروان شيخ الفقيه المقدم والذي تروي المصادر عنه أنه كان من أكابر أهل السنة ، وأنه كان يطمح أن يتخرج تلاميذه كابن فورك الإمام المالكي الأشعري ، وله رسالة تسمى «تحرير الأيدي والعقود اللازمة والجائزة» مخطوطة في تريم . ومنهم الشيخ عبدا لله بن عبدالرحمن باعبيد صاحب كتاب « التنبيه والإكمال لما في التنبيه من الإشكال » الذي جرت له مع فقيه الحرم الإمام ابن أبي الصيف القصة المذكورة في الكتب ، ولا حاجة بنا إلى الإطالة ، فمن عصر الفقيه المقدم بدأت الأمور تتضح ومنهج أهل السنة يرتفع عاليا ، وحصل التلاحم بين أكثر فئات المجتمع الحضرمي على منهج واحد كان له أكبر الأثر في إحلال السلام في حضرموت وانتشار الإسلام في خارجها . وفي الدراسة التي سندرها قريبا عن الإمام الفقيه المقدم الكفاية .

كما أن من مؤلفات الشيخ سالم بافضل ذيل على تفسير الإمام القشيري « لطائف الإشارات » الذي يعتبر من أجمل التفاسير وأشدها اعتدالا وتمسكا بالسنة في منهج التفسير الإشاري ، وهذا دليل واضح على أنه -أي: بافضل حيث خدم هذا التفسير وذيل عليه – من أصحاب الاتجاه الصوفي المعتدل من أهل السنة ، وانظر إن

شئت مقدمة التفسير -وقد طبع في ثلاثة مجلدات- لمحققه الدكتور بسيوني أو الدراسة المستقلة والأكاديمية الرصينة التي أعدها د. بسيوني « القشيري ومنهجه في التفسير » تعرفْ ما هو هذا التفسير ؛ وإن كنا لم نقف بعدُ على هذا الذيل الذي يعتبر من بواكير علم التفسير في حضرموت .

ومن الجميل ذكره ما قاله بامخرمة في كتابه الحافل « النسبة إلى مواقع البلدان » مخطوط عند كلامه عن تريم :

قال القاضي المسعود : ومنهم الفقيه سالم بافضل صاحب الذيل على « تفسير القشيري » ، والفقيه شرف الدين أحمد بن محمد بن صفح والد السبتي صاحب «شرح التنبيه» ، والفقيه أحمد بافضل والفقيه الزاهد علي بن محمد بن يحيى بن حاتم ، والفقيه علي بن أحمد بامروان ، والفقيه جمال الدين محمد بن علي باعلوي ، والفقيه عبدالله بن عبدالرحمن باعبيد صاحب « الإكمال لما وقع في التنبيه من الإشكال » ، والفقيه محمد بن أحمد بن أبي الحب المتوفى سنة ٦١٢ هـ .

وكلا المؤرخين بامخرمة والقاضي سُنّيّان ويتكلمان عن فضلاء أهل السنة في تريم كما هو واضح ، ولو كانت هناك أي اختلافات في الفكر أو حصول مجادلات لنبهوا إليها ولو إشارةً.

الوقفة الرابعة :

وأما عن ارتياح نشوان لتريم وأهلها فلما جبلوا عليه من الأخلاق المحمدية وسعة الصدر التي لم يجدها نشوان في زيدية اليمن تلك الأونة ، فقد رأيت ما يشدد عليه الشيخ سالم في وصاياه من الزهد والتواضع لله وللخلق وقتل حظوظ النفس والمواظبة على الطاعات وغير ذلك مما كان سائدا في عصره وبلده ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة علماء مدرسة حضرموت وحفظهم الود لكل مسلم وعدم التفاتهم للاختلافات وضيق مشهدهم في الردود لكل من هاجر إليهم أو مر عليهم عابر سبيل ، إلى جانب سعة علومهم وكثرة رحلاتهم مما أعطاهم القدرة على استيعاب الموافق والمخالف وتجنب الاصطدام به مع الشعور بالشفقة عليه، وهذا ملاحظ فيهم في زماننا مما أهل علماء مدرسة حضرموت لنشر الإسلام في أصقاع العالم الإسلامي دون جلبة وجعجعة أو سيف ورمح . ولسان الحال أفصح من لسان القال . وسيأتي في الوقفة الرابعة عن نشوان ما يؤكد هذا المعنى .

هذا ويمكننا أن ننكر حصول هذه الرحلة أصلا بسبب التعارض الغريب الذي وقع فيه الكاتب عندما قال بأن نشوان **المعتزلي** (ت ٥٧٣) أقام في تريم في ظل السلطان عبدا لله بن راشد **الأباضي** ، ثم نجد أن السلطان عبدا لله تولى الحكم عام ٥٩٣ [١] ! ولكن ليس من شِيَمِنا هذه الطريقة في الإنكار.

ومن أهم ما ينبغي إثباته هنا ما ذكره الدكتور محمد علي زيد في كتابه « تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري » الذي نشره المركز الفرنسي للدراسات اليمنية[٢] ص١١٧-١٢٠ حيث درس مؤلفات نشوان وحياته ، ثم أفرد فصلا لـ« محاولة نشوان لإقامة دولة » ويستدل على ذلك بقول عمارة المعاصر له في تاريخه : « بلغني أن أهل بيحان ملكوه عليهم » ؛ ولكن قبائل بيحان وعدته بالملك ثم نكصت على عقبيها ، فكانت بسبب ذلك هجرته إلى حضرموت هربا من هذا الإخفاق ومن ملاحقة الخصوم .

وقد نبه د. محمد علي زيد إلى التعارض الذي وقع فيه صاحب « أنباء الزمن » وبامخرمة من أن نشوان وصل تريم في عهد السلطان عبدا لله بن راشد مع كونه طفلا آنذاك .

ثم يرجح المؤلف[٣] بعد نقاش أن رحلته هذه كانت قبل موته سنوات ، وأن سروره إنما كان بسبب «العطية» التي أكرمه بها الحضارمة ، « ومع أن نشوان يتحدث عن هذه الرحلة برضى ، وخاصة حين يتحدث عن العطية التي عاد بها من حضرموت ، وأرسل فيما بعد أشعارا يمتدح بها الذين التقى بهم في تريم ، فإن

---

(١) انظر « تاريخ حضرموت » للحامد (٢: ٤١١) .

(٢) قسم مؤلف هذا الكتاب - والذي يقع في ٣٥٠ صفحة - كتابه على جزئين:

الجزء الأول : الإمامة الزيدية تتراجع :

١- النشأة

٢- نشوان وإلغاء شرط النسب في الإمامة

٣- الإمام عبدالله بن حمزة والمطرفية

الجزء الثاني : ١- علم الكلام المطرفي

٢- مناهج المعتزلة « أبواب التوحيد والعدل »

٣- المخترعة وعلم الكلام

ولا يظننّ القارئ أنه تعرض للوجود المعتزلي بحضرموت الذي أجهد أخونا سالم نفسه في إثباته بل إنه يقرر طوال دراسته التي تعتبر أفضل ما كتب عن الوجود المعتزلي في بلاد اليمن أنه لا توجد فرقة معتزلية غير المطرفية المخترعة فقط ، ولا يوجد قبل القرن السادس فرقة غيرهم ، والكتاب يملأ الأسواق فليراجع .

(٣) والمؤلف معروف في الكتابات التاريخية ، فقد ألف قبل هذا الكتاب كتابه « معتزلة اليمن » وغيره من مشاركاته التاريخية وقام بدراسة جميع كتب نشوان ورسائله .

الرحلة انتهت نهاية غير حسنة ، فقد عاد إلى مأرب ليتوجه منهـا إلى الجـوف لكـن القبـائل اعترضتـه وأخـذت العطية)) ، ثم يقول الدكتور محمد علي زيد :

((التصالح مع العصر

وعلى الرغم من أنه بدأ حياته بالتمرد على الجميع وجرأة الاجتهاد فإنه قد انتهى قبل مماته إلى المصالحة مع الجميع ، ويستفاد من كتبه أنه في أخريات حياته هجر الجدل والسياسة وانقطع للعبادة والزهادة)) .

ثم أخذ الدكتور ينقل أقواله من كتبه الدالة على ذلك .

ونستفيد من كل ما مضى أن نشوان هاجر إلى حضرموت هربا من معرة الانتكاس الـذي مُنِـيَ بـه عندما خذلته قبائل بيحان ، فنزل تريم للراحة من عناء فشل التجربة السياسية ، وإذا بـه يلتقـي بـأقوام لا هـمّ لهـم إلا علوم المعاملة مع الله من الزهد والورع والكرم والأخلاق ، مع إتقان للنهضة الاقتصادية بإحياء الأراضي وحفر الآبار وبنـاء السـدود وغيرهـا حتـى أكرمـوه ((بعطية)) سـافر بهـا مـن عندهـم ؛ ولكـن لا يخفـى تـأثره بهـم -خصوصا وأنه جاءهم في أخريات حياته- فأعلن بعد ذلـك مصالحـة الجميـع والتفـرغ للعبـادة والانقطـاع إلى معاملة الله سبحانه ، ولا أدل على ذلك من أن الشيخ سالم بـافضل في وصايـاه الـتي حـاول الكـاتب دراستها واستنباط الفكر المعتزلي فيها دائما ما يكثر من الوصية بالتقوى والاستقامة والإنابة وإعمار الأوقـات بالطاعـات والخوف من الله والتقلل من الدنيا .

وهنا **وقيفة**.. وهي أن الشيخ سالم بافضل في وصيته لما أراد أن يوصي بتحصيل الضروري من العقائد كان المفترض أن يذكر ولو شيئا يسيرا من الأصول الخمسة ولكنه لم يشر إليها ولا إشارة واحدة بل اكتفى بالأصول العامة عند أهل السنة وغيرهم ، مما يجعل كل محاولات الأخ سالم مما ((كُسِيَتْ ثوبَ الإجمال فطرقها الاحتمـال وسقط بها الاستدلال)) .

ومن يقرأ جميع وصاياه – وهناك مجموعة منها لم يقف عليها الكاتب وذكرها صاحب ((صلة الأهـل)) – يعرفْ ذلك حق المعرفة ، ولذا فقد صنّف ذيلاً على تفسير الإمام القشيري ((لطائف الإشارات)) .

رأي القارئ المسيء للظن :

بقي أن ننبه إلى أن القارئ لهذا البحث إما أن يكون حسن الظن أولا ، فإن كان حسـن الظـن فمـا مضـى كاف ، وهو ما نحن عليه ، ولا يليق أكاديميا أن تسيء الظن بالكـاتب وإلا انصبغـت مناقشـتك لـه بالانحيازيـة كما يحصل للأسف في بعض الأوساط الأكاديمية العربية ، وأما لو أساء الظن فستعتريه أحد هذه الظنون :

١- البحث معد بعناية ومدروس بدقة تشبه أساليب المستشرقين ، والباحث غير معروف في عـالم التاريخ ؛ لذا فإن سالما لم يكتبه وإنما كُتب له.

٢- هذا البحث يأتي امتداداً لما اشتكى منه سارجنت في كتابه « سادة حضرموت » من اختفاء الأباضية وانعدام التراث الأباضي ، وأنهما لغزان كبيران لا يكفي فيهما كلام المؤرخين الحضارمة .

٣- هذا البحث يشبه إلى حد كبير الأبحاث التي يريد بها الشيعة الدخول إلى مجتمع حضرموت أو إندونيسيا ، وهو شبيه إلى حد كبير بالبحث الذي كتبه الصحفي محمد أسد شهاب « الشيعة في إندونيسيا » ، فقد تتبع الإشارات البعيدة في تاريخ إندونيسيا واعتمد على فلول من الكتب ثم لما أوشك أن يصطدم بانعدام المخطوطات والتراث الشيعي تحاشاه باتهام الاستعمار الهولندي بإبادة كل شيء وكل الخزائن وكل المكتبات حتى لم يبق كتاب واحد .

وكِلا هذين البحثين يبدأ برفض كتب التاريخ الحضرمية المتوفرة وربما اتهامها بالتزييف المتعمد ثم تلمس الوجود المذهبي الذي يزعمه من بين أسطر المصادر وتناقضاتها المفتعلة ثم تقرير اختفاء تراثه أجمعه بسبب الحروب.

٤- هذا البحث يأتي امتدادا للحركة الأباضية في عمان التي بدأت باستئجار الأقلام لتزوير تاريخ ظفار المليئة بأهل السنة مستغلة جهل أهلها ، حتى تستطيع فرض القضاء الأباضي فيها وتعطيل حقوق أهل السنة كما نجحت في ذلك في وسط عُمان وحرمت أهل السنة حقوقهم وفتحت المحاكم الأباضية ، والآن بدأت تتلمس طريقها نحو بلاد المهرة التي تحاول ضمَّها دولٌ أخرى وبعدها حضرموت .

ومن آثار ذلك مجيء مستشرق ومستشرقة إلى مكتبة الأحقاف بتريم قبل عدة أشهر يدعي أنه خبير مخطوطات روسي يتكلم الفصحى ويبحث عن أي مصدر تاريخي عن كتاب المهرة!

٥- ويساند هذا البحث هذه الأيام خروج كتاب اسمه « تاريخ حضرموت » في ثلاثة مجلدات لشخص غير معروف في عالم التاريخ يشد فيه من الوجود الأباضي ويتعدى على شخصيات كبيرة من علماء أهل السنة ومؤرخيهم كالإمام علوي بن طاهر صاحب جوهور ، ومن المساندات الملاحظة في تريم هذه الأيام تنبيش بعض شباب تريم ممن يدرسون في الجامعات عن التراث الأباضي قبل وأثناء عصر المهاجر في المخطوطات وغيرها ، مع أن هذا الموضوع أبعد من أن تطالب به جامعاتنا العربية أو تقبله.

٦- وكل هذه الأبحاث دائما ما تبدأ بأمثال هذه العناوين : إعادة نظر.. ، قراءة معاصرة.. ، نحو وجود معتزلي.. ، رؤية حديثة.. حتى سُئمت في أطروحات جامعاتنا العربية وعُرف أسلوبها الاستشراقي.

٧- هذا البحث صرخة جديدة لما بدأه المركز الفرنسي للدراسات اليمنية حيث قام بنشر كتاب « تيارات معتزلة اليمن في القرن السادس الهجري » للدكتور محمد علي زيد ، حيث يدعو إلى « ضرورة إعادة الاعتبار للفرقة المطرفية التي قاومت التعصب الأعمى حتى انقرضت » وأن الإمام الهادي « أول معتزلي دخل اليمن » ، وأن « المطرفية هم أول وجود معتزلي في اليمن بل الوجود الوحيد » وغير ذلك مما يملأ مقدمة الكتاب .

وكل ما مضى من تكهنات للقارئ المسيء الظن مربوطة تماما بالنشاط الاستشراقي القوي في مراكز الأبحاث الأوروبية والأمريكية على السواء التي وجدت لها قدما في صنعاء وبدأت تتلمس نحو حضرموت الطريق ، وتتلمظ غيظاً مما يواجهها من تعويق ، والله أعلم .

الخاتمة:

كانت هذه الوقفات الأربعة هي أهم ما يجدر بيانه لأخينا سالم ، وأما ما سوى ذلك مما ذكره من استدلالات فأغلبها متفرع من هذه النقاط الأربعة ، ولا حاجة للإطالة ، وكل ما ننصح به أخانا سالماً أن يكثر من الرجوع إلى المظان والقراءة المتمرسة حتى لا يقع في **حفرة أكاديمية كبيرة** كهذا البحث ، والله الموفق.

وعلقه في ثلاثة أيام

أحمد بن عمر الكاف

الجمعة ١٤/١/١٤٢٠

فرع الدراسات والمناهج وتحقيق التراث

رباط التربية الإسلامية – عدن